حكايات الليالى

(٨)

# الأمير المغامر
# الأمير سَحاب

بقلم

أمين أحمد العطار

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

« حكايات الليالى » حكايات قصها والد على أبنائه الصغار حين كانوا يجلسون معه كل ليلة ، ملتفين حوله ، ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة .

وكان الوالد يجيبهم إلى طلبهم ، ويحكى لهم حكاية من « حكايات الليالى » .

وفى ليلة من الليالى قص عليهم حكاية « الأمير المغامر » :

# الأمـير المغـامر

كانَ فِى الأَزْمانِ الماضِيةِ مَلكٌ عَظِيم الشَّأْن ، تَهابُه المُلوكُ الَّذِين يُجاوِرُونَه ويَحترمونَه ، رُزِق غُلامَيْن جَميلَيْن ، فَفرِح بِهما ، واهْتَمّ بِتَرْبيَتِهما وتَعلِيمهما ، وتَنْشِئَتِهما علَى الشجَاعةِ والجُرأَة ، والثباتِ فى مَواقِفِ الفَزَع والخُطورَة ، حتّى كَبرا ونالا من كُلِّ ذَلِك حظًّا وفيرًا ، ووَجَدتْ تنشِئَةُ الأَخِ الأَصْغَر

على الشجاعةِ والجُرأةِ فى نَفْسِه اسْتِعدادًا فِطْرِيًّا ، فَامْتازَ عَلى أَخِيه الأَكْبرِ بأَنّه يَأْلَفُ المُغامَراتِ ، ولا يَخْشَى مواقِفَها المُفْزِعة الخَطِيرة ، وقد أُغْرِم بِها حَتَّى صارَت شُغله الشَّاغِل ، وصارَ لا يَجدُ راحَتَه إلا بها ، فكانَ لا يَمرُّ عَليه مُدَّة قَصِيرة دُونَ أَن تكُونَ له مُغامَرةٌ تَبعثُ العَجبَ فى نَفْسِ أَبويْه وأَخِيه ، وَرِجال القَصْرِ وخَدَمِه ، وكانتْ أُمُّه الملكَة أَخْوَف الناسِ عَلَيه مِن تِلكَ المُغامَرات ، وتَدْعُو الله فى صَباحها ومَسائِها أَنْ يُنَجِّيَه مِنْ أَخْطارِها ، وقَد ذاعَت فى ذلكَ شُهرتُه وأَصبح الحَديثُ عَن مُغامراتِه يَملأُ المجالِسَ والأَنديَة ، حَتى عُرِفَ بالأَمير المُغامِر .

ماتَ المِلك ، فصار المُلْكُ إِلَى أَخِيه الأَكْبرِ بِحكْم القانونِ المتَّبَع فى ذلك الحِين ، ولكنّه خَشىَ أَن يكُونَ

لأَخِيه الأَصْغَر رَغْبَةٌ فى أَنْ يكُون مَلِكاً بَعد أَبيه ، وهُو يُخفِى رغْبَتَه هَذِه فِى نَفْسِه ، وسَيسْعَى بمغامراتِه إِلَى خَلعِه ، وخَطْفِ المُلْكِ مِنْه ، وحِرْصاً مِنْه عَلى أَن يكونَ فى مأْمَنٍ مِنْ هُجُوم أَخِيه الأَصْغر وإِزْعاجه ، وعلَى أَن يَشُد بأَخِيه عَضُدَه ، وأَنْ يكون لَه فى إِدَارة شُئُون المُلكِ عَوْناً وسَنَدًا ، — من أَجلِ ذَلِك كُلّه — عَرَضَ المُلكَ على أَخِيه الأَصغر وقال له :

أَنتَ أَخِى وشَقيقِى ، وكِبَرى فى السِّن لايَجعَلُنى — بيْنى وبَيْن نَفسِى — أَحقَّ بالمُلْكِ مِنْك ، ويَسُرنى أَن تكون أَنتَ يا أَخِى مَلِكاً ، وسأَكُون لَكَ خَير عَوْنٍ وسَند .

قال الأَخُ الأَصغر : شُكرًا لكَ يا أَخِى ، وما أَنَا إِلاّ أَخوكَ الأَصْغَر ، يَدِينُ لكَ بالطاعةِ والاحْتِرام ،

وإنى أُحبّ أن أكونَ فى حَياتى حُرًّا طَليقاً ، ولا أُحبُّ أن أكونَ سَجِيناً ، تَحبِسُنى تَقاليدُ المُلك فِى سِجْن يَضيقُ له صَدْرِى ، ويَحولُ بَينى وبَين إمْتاعِ النّفسِ بما فُطِرتْ عَليْه من حُبِّ المَغامَرات ، ومُصارعة اللّيالِى والأيّام ، فاتركْنِى لحُريَّتِى ، وهَنِيئاً لكَ مُلك أبيك ، وسأكونُ لكَ خيرَ مُعين ، وأقْوَى سَنَد .

* * *

تَولّى الأخ الأكْبر مُلكَ أبيه ، وهُو آمنٌ على نَفسِه ومُلْكِه مِنْ أخيه ، فأدار شُئونَه على أساس من العَدل والرّأفَة ، والحزْم والنّزاهة . والعَمل علىَ إسْعادِ شَعبِه ورَفاهيتِه .

أمّا أخوه الأصْغر فقَد عاشَ مُشْبِعاً نَفسَه بما فُطِرتْ علَيهِ مِن مُغامرات كانَت مَثار العجَب والدَّهشَة فى نُفوس الناس ، ومَسْلاتهم حِين يَجتمعُون ويَتحدَّثُون ، ولعلَّكَ

أيها القارئُ الكَريم فى شَوقٍ إلَى أن تَقرأَ شيئاً مِنها .

* * *

قال الرّاوِى : ركِب الأَميرُ ذات يوم فرسه ، وانطَلق بِه فى الفَلاة يَبغِى الاسْتِمْتَاع بِمشاهدِ الطّبِيعة الّتى لم تعملْ فِيهَا يدُ إنْسان . فجعلَ يَمشى غَارِقاً فِى اسْتمتَاعِه ، لاهِياً به عَنْ مَصِيره ، حَتّى انْقطَع عَن العُمران ، واخْتفَى فى مَتاهاتِ الصحراءِ ، غير خَائف ولاَ فَزِع ؛ لأَن له قَلباً قُدّ منْ صَخْر ، ولأَنّه يَعتَمدُ علىَ شجاعتِه ، وذَكائِه وسُرعةِ بَديهتِه ، ولأَنه لا يَذهَلُ ولا يَضْطرب ، إذَا دهَمَه خَطَر أَو عَطَب .

غَربت الشّمسُ وهو فى تلِكَ الوحْدة المُخِيفَة ، ولكِنّه كانَ كَمنْ جَلسَ آمِناً فى قصره ، لا يَتوقّع

شَيئاً يُزعجهُ ، فرَمى ببصَرِهِ باحثاً عنْ مَأْوًى يسْتكِنُّ فِيه لَيْلتَه . فبانَ له أَثَر ضَوءٍ ينبعث من كهْفٍ فى سَفْحِ جَبل أَمامَه ، فانْتبَه حُبُّ الاستطْلاعِ فى نَفسِه ، واندفَعَ نحوَ هذا الكَهفِ ليتبَيَّن من فِيه ، ويَقفَ على حَقيقةِ أَمره ، فقَد دَهِشَ مِن أُناس يَعتزِلون العُمران ، ويَتَّخذُون بَيتَهم فى هذا المكانِ السّحِيق .

قَرُب الأَمير من الكهْفِ ، فَنزَل عن جَوادِه ، وأَشار إِليه أَن يلزَمَ مكانَه ثابتاً لا يَتحَرك حتَّى يرجعَ إِليْه ، ومَضَى هُو فى هدُوءٍ وبُطءٍ إِلَى الكَهفِ ، ثم وقف بِجَانبِ مدخلِه وأَرهف سَمعهُ ، عسى أَنْ يَسْمع من داخِله شيئاً يُعِينُه على مَعْرفَةِ مَنْ فِيه .

جَلسَ مَن فى الكَهفِ يأْكلُون ويتَحَدثون ، وبَعدَ أَن أَكلُوا وشَبِعوا أَخذوا يَقْتسمون ما نَهبُوه من المال فى

ومضى الأمير فى بطء وهدوء إلى الكهف

يَومِهم هَذا فَعرَفَ مِن حَدِيثهم وقسْمَتهم أَنَّهم خَمسةُ رِجال ، وأَنَّهم لُصُوصٌ يهاجمون السائرين ، ويَنْهبونَ أَمْوالَهم ، ثُم يَفِرُّون بِها إِلى كهْفِهم فِى ذلكَ المكان السَّحِيق حَيثُ يأْمَنُون علَى أَنْفسِهم ، وحَيثُ لا يَعرِفُهم إِنسانٌ ، ولا يَشْعُر بِهم أَحد .

رجَع الأَميرُ إِلَى جَوَادِه وامْتَطاه ، وسَار بِه إِلَى الكَهفِ حتَّى وقَف أَمَامه ، ثم أَشار إِلَيْه أَن يَصْهل ويُحَمْحِم .

صَهل الجوادُ وحَمْحَم فانْتَبَه اللُّصُوصُ ، وأَمسَكُوا أَسلِحتَهم ، ومَضَوْا نَحو البابِ فِى بُط ءٍ ، فكانُوا فى مَشْيِهم كأَنَّهم يَجُسُّونَ الأَرضَ بأَقدامِهم كَما يَجُس الطبيبُ المَرِيض ، وكانوا صَفًّا واحِدًا يَتْبعُ

بَعْضُهم بَعضاً ، وعُيونُهم شاخِصَة إلى السّاحة التى أَمامَ بابِ الكَهْف .

رَأَوا الأَمير مِن داخِل الكهْفِ فَعرفُوا أَنّه رَجُل فَتِىٌّ يَمتَطِى جَوادًا كَرِيماً ، وقَد وقَفَ به أَمام باب الكَهْفِ ، وكانُوا قدْ أَطْفأُوا المِصْباحَ الذى يُنيرُ كهفَهم حتّى يَسْتتروا بظَلامه ، ثُم أَخَذوا يتهامَسُون فَتْرة مِن الزمَن ، ثم قَرّرُوا أَن يُتابع الصفّ سَيرَه حَتّى يكونَ أَوّلُهم قَريباً من الباب ، وحِينئذ يسأَل الفارِسَ عَن شَأْنِه :

سأَل أَولُهم الأَمير فقال : مَنْ أَنتَ يا هَذا ؟

فأَجابَ الأَمير : عابرُ سَبِيل ، ضلَلتُ الطّريق ، وتهتُ فى هذه المجَاهِل ، وقَضيْتُ يَومِى فى المسير حتّى

تَعِبَ الجوادُ ، وأَدْركنِى اليَأْسُ مِن الحَياة ، ولكِن رجَع إلىّ الأَملُ فى الحياةِ حِينَ عَثرتُ بكم ، فهلْ أَجدُ عِندكُم صَدْرًا رحْباً لِضيافتى ؟

فأَجاب كبيرُهم ، وكان شيخاً كبيرًا ، لا تزالُ نضرةُ الشَّباب وفُتوَّةُ الحداثة باديَتَيْن علىَ شكْله :

على الرحْبِ والسَّعة يا ولدى ، انزلْ وتَفضَّل ، والكهفُ من الداخِل فَسِيح يَتَّسِعُ لجَوادك ، ثم أَمَر أَن يُضَاءَ مِصْباحُ الكَهف ، فَأُضِىءَ فى الحال .

* * *

نَزلَ الأَميرُ وسلاحُه معه ، ودخلَ الكهفَ هُو وجَواده ، وأَخذَ اللصُوصُ الجَواد فربَطُوه فى مَكان غَير بَعيد عَنْهم بحيثُ يَروْنه ويَراهم ، ثم أَخَذُوا

مَجلِسَهم والأَمير بَينَهم . وأَمَر الرئيسُ بإِحضار الطَّعَام للضّيفِ فَجِيءَ بِه ، ولما وُضِعت المائِدةُ أَمام الأَمير قال الرئِيس :

لقَدْ جئْتَنا بَعْد أَن تَعشَّيْنا ، ولكنّ تَحِيتَك تَقْضى بأَنْ آكُل معَكَ إِكْلَةَ الشِّبْعان .

قال الأَمير : شُكرًا لكَ يا سَيدى ، وجَزاكم اللهُ عَنا خيرًا ، وكان فى الكَهفِ بَعض من الشَّعِير فأَمر أَن يُعطَى الجَوادُ منْه ما يُشْبِعُه وأَن يوضَع أَمامَه الماءُ ليَشْربَ مِنْه ، ففَعلُوا ما أَمَرهُمْ به .

أَكلَ الأَمير حَتّى شَبع ، ثم حَمِد اللهَ وشَكَرهُم . وجَلسَ بَينَهم يَشْرَبونَ القَهْوةَ وَيتعارفُون .

قال الرئيس : عَرفْنا مِنْك أَنكَ عابِرُ سَبِيل ، ولم

نَعرف اسْمكَ ولا عائلتَك ولا بَلْدَتك ، ويُشَرِّفُنا أَن نَعْرِفَ ذَلك .

قال الأَمير فى نَفسِه : إن أَنا أَخْبَرْتُهُم أَنى أَخو المَلك ، وأَنى من المدينَةِ التى تُشرف علَى هذِه الفَلوات والمجَاهل ، انْقضَّ علَىَّ جَمْعُهم دَفْعَةً واحِدة ، وضَربُونى ضَرْبةَ رجُلٍ وَاحِد ، وقَضَيتُ علَى نَفْسى . ولهذا تنكَّرَ وغَيّر اسْمَه واسْمَ عائلته وبلدَته .

قال الرئيس : وهَل كانت لك حاجة فِى تِلك الفَلاة حتى دخَلْتَها وتهتَ فِيها .

قال الأَمير : كُنْت سائرًا فى الطَّريق الممتدّ علَى جَانبِ هَذه الفَلاة ، وشَعَرت بحاجَتى إلَى التبوّل ، فَدخلتُ الفَلاة ، وأَبعدتُ فى المسير ، ولما قَضَيت

بحاجَتِى ركبتُ جَوادِى وسارَ بِى ، ولما طالَ بِه المَسِير ولم أَصِلْ إلى الطَّرِيق انتبَهتُ وعرفْت أَنِّى ضَللتُ وتِهت ، وقضَيتُ يومِى سائِرًا وضَالاً حتّى كنْتُ أَمام كهْفِكُم .

قال الرئيس : ولِمَ خَرجْتَ من بَلدِك ؟ ومَا وِجْهتُك؟

قال الأَمير : كنت ذَاهِباً إلى بلدَة. . . لكَىْ أَتعاقد أَنا وفُلان التاجِر بتلْك البَلْدة على صَفْقةٍ تجارية يُرسلُها إلى ، علَى أَنْ أُعطيَهُ ثَمنَها مُقسَّطاً علَى عَدَد من الأَشهُر ، وأَرادَ الرئيسُ أَن يَعْرفَ هَل مَعه نُقود أَولا ، فقال :

وهَلْ يَرضَى ذلكَ التاجرُ أَن يُعطِيَك بِضَاعةً دُونَ أَن تَدفَعَ له شَيئاً من ثَمنِها ؟

قال الأمير : سَمِعْنا آباءَنا يَقُولون : اتَّخِذ الصِّدْق رأْسَ مالٍ لك تُشارِك الناسَ فى أَمْوالِهم . وقَد جَرَّبْنى فَوجَدنِى صادِقاً أميناً ، فأَصْبح يُعطينى ما شِئتُ من البِضَاعَة ، دُونَ أن أَدْفَع له شيئاً من ثمنِها . ولهذا سِرتُ اليَومَ وحْدِى ؛ لأنى لم أحمل شيئاً من المال أَخافُ عليْه من الضّياع .

قال الرئيس : وكَيف يَضيعُ مالٌ أَنْتَ تَحفَظُه فى جَيبك ، وتحرسُه بِيقظتِك ؟

قال الأمير : إنَّ الطرقَ التى تخترقُ الفلوات أو تمرُّ بِالغابات يُهدِّدُ الأَمنَ فيها ويُزعجُه قُطَّاعُ الطرُق واللّصوص ، وهَؤُلاءِ لا شَفقةَ عنْدهمُ ولا رحمة ، يَنزلون علَى السّائرِين فيها نُزولَ مَلَكِ الموْت ، فينْهبُون أَمْوالَهم ، ويَفرُّون بها إلى مَجاهَل الفَلَوات ، ومخابئَ

الغابات ، حَيثُ يجدُونَ مَسَالكَ يسلكُونَها إلىَ بُيوتهم وأَهْليهم وهُم آمِنون .

قال الرئيس : وما رأْيك فِينا وظَنُّكَ بنا ؟

قال الأَمير : أُناسٌ ذَوُو كرَم ومُرُوءَة ، ولكنِّى فى حَيرة من إِقامَتِكُم فِى هذا المكَان المنقَطع عَن العُمرَان.

قال الرئيس : نحن خَمسةُ رجالٍ كما ترى ، ربطَتْ بينَنا فى بلدَتنا صَداقةٌ قَوية ، ورأَينا النَاسَ قَد فسَدتْ أَحوالُهم ، وانْتَشر الظُّلْم فِيهم ، فَلاَ تراحُمَ بينَهم ولا مَودّة ، يَعيشُونَ كما يَعيشُ السَّمكُ فى الماءِ ، يأْكُلُ قوِيُّهم ضَعيفَهم ، ولا يَحترِمُ صَغيرُهم كبيرهم ، فَقَررْنا بِدِينِنا إلى هذَا المكَان ، وفى أَول كُلِّ شَهرٍ يأْتينا أَهْلُونا بِما يَكفينا من الزّاد ، أَمَّا الماءُ فإِنَّنا

نَحصلُ عليه منْ عَين عَذْبة قَرِيبةٍ منا . فَماذا تَرَى بَعدَ ذلكَ فِينا ؟

قال الأَمير : لا أَرَى إلاَّ كُلَّ خَير ، ثمّ تَثَاءَبَ طَويلا فَقال الرئيس :

أَراكَ مُتعَباً وفى حاجةٍ إلى النّوم والراحَة، فلنَذْهَب جَميعُنا إلى مَضاجِعِنا ، وهذا مَضْجَعُك قَد أَعَدَدْنَاه لكَ.

* * *

نامَ جَميعُهم فى مكانٍ واحدٍ من الكَهف ، ولكنَّ كُلَّ واحدٍ منْهم قَد انْتَحى منْه ناحِية ، ولم يَنَم الأَميرُ ولكِنّه تَناوَم ، وبَعد مُدة اعتقَدَ اللُّصُوص الذين كانُوا قد تَناومُوا أَيضاً أَنَّ ضَيفَهُم قَدْ غَرِق من تَعبِه طولَ يَومِه فى نَومٍ عَميق . فَسَمِعهم يتهامَسُون ، فأَرهَفَ سَمْعَه ، وأَحضَرَ وَعْيَه لِيَقفَ علَى ما يدبرونه لَه ،

وكان رئيسُهم ذا صَوتٍ أَجَشّ ، لا يَسْتَطيعُ به الهَمس ، فسمعَه يقول :

إنْ تركْنا هذا الضّيفَ يَمضِى لسَبيله فَضَحَنا ، وكانَ سَبباً فى هَلاكنا ، ولكِنّنا فى الصَّباح نَسِيرُ به جميعُنا بعيدًا فى الصحراءِ ، ونُفهمه أَننا نَمضى به إلى طَريق العُمران ، وهُناك نَضْربهُ ضَرْبةً مُميتَةً ، ثم نَعُود وقَدْ غَنِمنَا جَوادَه ، وكُفِينا شَرّه .

فقالوا : خَيرًا رأَيتْ ، ثُم نَامُوا .

سَمِع الأَميرُ هذَا القَرارَ فيه ، فجَفاه نَومُه ، وزَادتْ يَقظَتُه ، وانتعشَ وَعْيُه ، وانتَظر حَتّى غَطُّوا فى نَومهم .

كانَ مَعَ الأَميرِ زُجاجةٌ صَغِيرةٌ فيها بِنْج طَيَّار ، إذا فَتَحها فى مكان انْتَشرتْ رائحةُ البنج ، وأَصابَ

مَنْ شَمها إغماءَةً كأَنَّها الموْت ، وكان مَعهُ مادةٌ أُخرَى تَمتَص من الجَوِّ تلك الرائِحة ، إذا بلَّلَ بِها مِنْدِيلاً وغَطَّى به وجْهه لا تَنفُذُ إليه رائِحةُ البنج أَبدًا.

وضَعَ الأَميرُ المنديلَ علىَ وجْهه ، وفتح زجاجة البنج التى مَعَه ، فانتشَرتْ فى الكهْف رائحته ، ثم أَقْفلَها وانتظر قَليلا حتّى حَبسَتْهم فى مضاجِعِهم إغْماءَةٌعَميقةٌ طويلةُ المدى، ثم كشفَ عَن عَيْنَيه، وأَبقى المنديلَ يغَطِّى أَنْفَه وفَمه ، وقامَ إلى أَمْوالِهم من ذهَب وجَوَاهِر ، فوضَعها فى خُرْجٍ لَهُم ، ثم وضع الخُرْج على ظَهرِ جَواده ، وحَلَّ رباطَه وامْتطاهُ ومَضَى . وتركَهم كَالموتَى لا حِسَّ لهم ولاَ حَركة .

* * *

سَارَ الأَميرُ قُبَيلَ الفَجر ، واسْتَمر سائِرًا حتّى

وضع الأمير الخرج على ظهر جواده ، وامتطاه ، ومضى . . .

طَلعت الشّمس ، فَوجَد نَفسَه أَمام غابة فَسِيحة ، فقالَ فى نفسه :

إن بَقيتُ سائِرًا فى العَراءِ سَهلَ علَى اللُّصوصِ طَلبِى والعثُور علَىّ ، ومن الحزمِ أَن أَختَبِئَ فى هذه الغابة حتّى يَيْأَسُوا مِنّى ، ويقْعدوا عَنْ طَلبى .

دخَلَ الأَمير الغابة ، وأَوغَلَ فِيها حتّى كَانَ بعيدًا بعيدًا عن اللصوص ، ثم نَزَل عَنْ جواده ، وجَلَس تحت شجرةٍ كَبيرَةٍ مُمتَدةٍ فى السَّماءِ .

استيقَظَ اللصوصُ بَعد شُروق الشمس فَلم يَجدوا الضَّيف ولا جَواده ، فظَنُّوا به الظنون ، وأَسرعُوا إلى أَمْوالِهم ليطْمئِنّوا علَيْها فَلمْ يَجدُوها ، فأَيْقَنوا أَنه أَخذ الأَموالَ وهُمْ نائِمون ، وانطَلقوا إلَى الفَلاة يبحثون عن الضَّيف هُنا وهُناكَ فَلمْ يَعثرُوا على أَحَد ، ولما تَعبُوا واسْتيْأَسُوا

رجَعوا خَائِبين ، يَشْوِى قلوبَهم غَيْظٌ أَلِيم .

أَسنَد الأَميرُ ظهرَه ورَأْسَه إلى جِذْع الشجرة التى جَلس تَحتَها ، ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْه ونام ، ولبثَ نائِماً حتّى غَربت الشَّمس .

* * *

اسْتيقظَ الأَميرُ من نَوْمه بَعدَ غُروب الشّمس ، وفَتَح عَينَيه على ضَوءٍ ضَئِيل ينْبعِثُ من مصْباحٍ بَعيد ، فقالَ فى نَفسِه :

لنْ أَهجعَ حتّى أَعْرفَ لِمَنْ هَذا المصْباح ، وَلِى من ظُلمةِ اللّيلِ والغابةِ ساترٌ يُخفِينى عن أَصْحابِه حَتى أَتَبيّنَ أَمرَهُم . ونَهضَ قائماً واتّجهَ ماشِياً إلى مَكانِ المصْبَاح ، يُخفِيه عَن الأَعْينِ ظَلامُ الغَابة واللّيل . كانَ هذا المصْباحُ فى كُوخٍ مَصْنوع من خَشَب الغابَة ،

فوقَف الأَميرُ بِجوارِه من الخَلْف ، ووضَعَ أُذنَه عَلَى جِدَاره وأَصْغَى إِلَىَ دَاخله ، فَسَمع فَتاةً تَقول :

يا رَب ، اجْزِنى بِما صَبرْت ، وخَلِّصْنِى من سِجْنى ، وارْدُدْنِى إِلى أَهْلِى وأَخِى ، ثُم بكَت بُكاءً تَنشَقُّ لهَ المرَائِر .

فَهِم الأَميرُ من قَولِها وبُكائِها أَنّها مَنْكوبَة أَو مَظْلومة صابرَة ، وأَنّها محبُوسةٌ فى هذِه الغَابة ، وأَنَّ لَها أَهْلاً وأَخاً وهى عاجِزَةٌ عَن الرجُوع إِليهم ، وأَنَّها تلْجأُ إِلَىَ ربِّها ليكشِفَ عَنْها هذه المحنَة ، فقالَ فى نفسه :

ومَنْ غَيرِى أَولَى بكشْفِ الضّرعنْ هذه المنكوبَةِ العاجِزَة ؟

ثُم مضَى إِلى بابِ الكُوخ ، ووقَفَ أَمامَه ظاهِرًا فى ضَوءِ مصْباحه وقال :

طَاب مسَاؤُكِ أَيَّتُها الفَتاة .

فاجأَ الفَتاةَ صَوتُ الأَمِير فَخَرجَتْ منْ بُكائِها فَزِعةً خَائِفة ، ونظَرتْ إلى المَتكلِّم نَظرةَ المذْعور العاجِزِ عَنْ دَفْعِ السُّوءِ عَنْ نَفْسِه ، فوجَدتْ رجُلاً فى حَداثةِ سنِّهِ ، مَوفُور الصّحة ، شَديد القُوّة ، لا هُو بالسَّمين ولا هو بالهَزيل ، وقالت قولاً لا يَكادُ من شِدّة الخَوفِ يخرجُ من بَيْنِ شَفتَيْها :

وطَابَ مساؤُك ، أَنتَ إِنْسىٌّ أَم جِنِّىّ ؟

قال الأَمير والابتسامةُ تَعلو شَفتَيهِ :

أَنا إِنْسىٌّ ولا خَوفَ علَيك ، وما جئتُكِ إلا لمعُونَتكِ ، ودَفْعِ المكْروهِ عَنْكِ .

قالت : أَحقٌّ ما تَقُول ؟

قال : نَعَم ، وايْم الله إنّه لحَقٌّ مثْلَمَا أَنْتِ تَنطِقِين .

قالت : تفضّل واجْلس وسَلْنِى عما تُريد .

* * *

دخل الأَمير الكوخ وجَلس ثم قال : هل تَسْمحِينَ لِى أَنْ أَعرِف سَببَ بكائِك ، وسِرّ وجُودِكِ فى هذهِ الغابة المخيفَة؟

قالت : كانَ أَبى يُعْنَى بتَربيةِ العُجُول الصّغِيرة وتَسْمِينها ليَبِيعَها للتّجار والجَزّارين ، وكُنّا نَعيشُ على أَرْباحِها الموفُورة ، وينَال أَبِى مِنها سَعةً فى مالِه ، ومُنذُ سنَتين سَاقَ أَبى أَمامَه عَشرة عُجُول سَمِينة ، ومَضَى بها إلى سُوقَ البَهائم ، وكانَت السّوقُ فى بلدة

بَعيدة ، وكنْتُ قَد صَحبْتُه لمعُونتِه ، وسلكْنَا طَريقاً طَويلاً مُمْتَدًّا على حافَةٍ لفَلاَة وَاسعة لا يصل البَصَر إلى مَدَاها .

باعَ أَبى العُجول بثمن رَابح كان يَزيدُ عَنْ مائَتَىْ دينار ، ثم رجَعنا إلى بَلْدَتِنا من الطَّرِيقِ نَفسِه . وبَيْنَما نحن سَائِران فى مُنْتَصفِ الطّريق طَلعَ عَليْنا مِن الفَلاَة أَربَعة رِجال شدادٍ غِلاَظٍ ، خَناجِرهم فى أَحْزمتِهم ، وبنَادقهُم الصّغيرةُ فى أَيديهم ، وحَبَسُونا فى مكانِنا ، وقالوا لأَبى :

هاتِ ما مَعكَ من المال :

فلم يَجدْ أَبى مُخَلِّصاً مِنْهم إلا أَنْ يُطيعَهم ، وأَخرجَ ما فى جَيبِه من المالِ ودفَعه إليْهم ، ولما أَخذوا المال قالوا له :

اذهب أَنتَ فى سبيلك وأَما هذِه الفَتاةُ فقد أَصْبحتْ مِلْكاً لَنَا ، وسنَأْخذها مَعَنا إلى حَيْث شِئْنا.

فقال أَبى : إنّها ابْنتِى .

قالوا : ولَوْ . . .

وقال أَبى : أَمّا المالُ فَقَد رضِيتُ أَنْ أَدفَعه لكُم ، وأَما ابنتى فلَنْ يكونَ ذلكَ أَبدًا .

قالوا : اشْترِ حياتكَ بِتَركِ ابنتك .

قال : إنّما أَبيع حياتى من أَجل سَلامةِ ابنَتِى ، فَلا تجادلوا فى شيءٍ لا يَقْبلُ الجِدال .

فقال أَحدهم : ذلك رجُلٌ مُكابِر فَلا تُضَيِّعُوا وقْتَنا فى جِدَال لا ثَمرةَ له ، وأَطلَق بُنْدقِيَّتَه علَى رأْسِ أَبى فَخرّ صَرِيعاً ، وقُتِل من أَجْلِى .

أَخَذنى هَؤُلاءِ القُسَاة غِلاَظ الأَكبَاد ، ودُمُوعى مُنْهمِرةٌ كالمَطر ، حُزناً علَى أَبى ، وجَاءُوا بى إِلَى تِلك الغَابة ، وسَاروا بِى فِيها من هُنا إِلى هُناك ، حتّى انقَطَع أَملِى من الخُروج منْها وإِنْ أَخْلَوا سَبِيلى ، ثم جَلسُوا تحتَ شجَرة يَقْتسمُون ما نهَبُوه من أَبى ، ووَقَع الشقاقُ بَينهَم من أَجلِى ، كُلٌّ منهْم مُصِرٌّ على أَنْ أَكُونَ من نَصِيبِه ، واشْتَدّ الشِّقاق والعِنادُ بينهم حَتّى عزَمَ كل مِنْهم على أَنْ يَقْتل الآخرَ ؛ ليزِيل من أَمامه مَنْ يُنازعُه فىّ ، وشاءَ الله أَن يُطلقَ كل اثنين مِنْهم بنْدُقيتَه على زَميلِه فى وَقت واحِد ، فأَصَابت البنادِقُ مَقاتِلَهم وماتُوا جَمِيعهم بأَيدِيهم ، ففَرحْتُ لمصْرَعِهم ، وحَمدْت رَبّى الذى لمْ يُمهِلْهم ، وعَجّل بالانْتِقَام لأَبى مِنْهم ، ولكن الحزْنَ عَلَى أَبى لا تَزالُ

ناره مُتأَجِّجةً بينَ ضُلُوعى ، وحاولْتُ الخروجَ من الغَابَةِ فَما عرفْتُ سَبيلا للخُروج مِنْها ، فكنْتُ أَمشِى هُنا وهُنا ، وأَمشِى وأَمشِى وكأَنّنِى واقِفَة مَكَانى ، مَناظِرُ متشابِهة ، وبقاعٌ متَماثِلة . تِهتُ فيها وضَللت فلَبثْت فِيها حَبيسَة الأَحْزان . وقد كنتُ أَعرفُ كثيرًا من الأَشغالِ اليَدَوِية ، وخفْتُ أَن يَرانِى وحْشٌ من الوحُوش التى اعْتادت أَنْ تأْوِىَ إِلى الغَابات ، فصَنعتُ لِى من النباتات المتَسلِّقة ، والأَشجار ذات الأَوراق التى تُشْبه الشُّعور ما يُشبه الشَّجرة ، وجَعلتُ لِى فى جِذْعها المجَوّف مأْوًى أَخْتَبِئُ فيه ، وأَسِيرُ بها من مكان إِلىَ مكانٍ ، فإِذا شَعرتُ بخطرٍ وَقفتُ بها مَكانى ، فكُنْت أَبدُو لمن رآنى شجرةً من أَشْجارِ الغَابة ، ولبِثْتُ علَى هذه الحالِ مدة غير قَصيرة ، عشتُ فيها علَى

ثمار الغَابةِ ومَاءِ عُيونِها .

* * *

وذاتَ يَومٍ لمحتُ قِرْدًا كبِيرًا يتبَعُنى وأَنا سائرةٌ بشَجرتِى ، فَوقفْتُ حتّى ينصَرفَ عنّى ، ولكنَّه لم ينصَرِفْ ولبث يَرْقبنى مُدةً طويلَةً ، وأَنا أُراقِبه من خلالِ ثقوبٍ فى جِذع شجرتى ، ثم انْصرف وتَوارى بالأَشْجارِ عَنّى ، فسِرْتُ بشَجرتى ، وأَنا أَنظُر من ثقوبِها باحثَةً عَنْه فلَم أَجدْه ، كما لم يَقعْ نظَرِى علَى وَحْش غَيرِه ، فاطمأْننتُ وخرجتُ من شجَرتى ، وما أَشدّ فزعِى حِين التفَتُّ فَوجَدت القِرد واقفاً وَرائِى ، وما أَعْظَم عَجبى وحيرَتى إذ رأَيتُه يتقدَّم نَحْوى مادًّا إلَىَّ يدَه ، وهىَ تَحملُ فاكِهةً من فَواكه الغَابة ، وفَهمْتُ من لمحات عَيْنَيْهِ أَنه يتوسّل إلىّ ويرجُونى أَن

آخُذَ منْه الفاكِهَةَ وآكُلَها ، ولما أطعت تَوسلَه ، واستَجبْتُ إلَى رجائِه وأَخذتُ منْه الفاكهةَ وأكلتُها أبدى من الفَرَحِ والغِبْطَةِ ، ما جعلَنِى أطمئِنّ إليْه ولا أَخْشاه ، وشَعَرْتُ كأَن قَلْبِى أَحبَّه ، وشَغلنى حُبى له عن التّفكِير فى مصيرى مَعَه ، وعجبْتُ منْ نَفسِى إذْ وَثِقَتْ بهذَا القرد واطمأَنَّتْ إليه لأَوّلِ وهلَة بَدَا مِنْه عَطْفُه ، ولاَزَمنى هذا القردُ ولم يُفارقْنِى إلا وَقْتَ أَن يَذهَب لإِحْضار طعامى وشَرابى .

وذات يَوم رأَيته يقطع أَغْصَاناً من أَشجار الغَابة ويَنقُلُها إلى هَذا المكَان ، ثُم أَخَذ يُقيمُها ويَنْظُر إلىّ ويُمسِكُ الغُصْن ، ويُشير إلىّ أَنْ أَرفعه مَعَه فَفهمتُ من حَركاتِه هذهِ ومن نَظَرات عَيْنَيه أَنَّه يُريدُ منّى أَنْ أُساعِدهُ فى بِنَاءِ كُوخٍ أَسكُن فيه ، فَعاوَنتُه حتَّى

بَنَى لى هَذا الكوخ ، ولما دخلتُه لأَوَّلِ مَرَّةٍ رأَيتُه قد أَسْرَعَ وربَضَ علَى عَتَبةِ بَابِه ، جاعِلاً ظَهرَه لى ووجْهَه نَحو أَشجار الغَابَة ، ففَهمت أَنه اختَار لنَفسِه عتَبة الكوخ ليحْمِيَنِى ويَحرسَنِى ، وعشتُ فى هذهِ الغَابة مُسْتريحةً بَسببِه ، حتّى يَجعَلَ الله لى مِنْها مَخْرَجاً ، وقدْ حان اليَوْمَ موعِدُ عودَتِه ولكنه لم يَعُد ، وأَنا الآنَ فى أَشَدّ القَلق علَيْه .

* * *

كان القِرْدُ قد حَضَر وهِى فى أَوّلِ حَدِيثِها للأَمِير ، فربَضَ بِجِوار الكُوخ وبالقُربِ من بَابِه ، وسَمِعَ الحديث كُلّه ، وفى آخِرِ كَلمةٍ لها ضَربَ جدار الكُوخ بِذَنَبِه ، فأَسرعَ الأَمِيرُ وخرجَ من الكُوخِ فَرأَى القِرْدَ رابضاً يحرّكُ ذنَبَه كما يحرك الكَلبُ ذَنَبه .

فقال : هَذا هو القِرْد ويُخيّلُ إلىّ أنه سَمِعَ الحدِيثَ من أوّلِه إلى آخِرِه ، فهزَّ القِردُ رأسَه هزَّة يُفهَمُ مِنْها أنه سَمِع الحديثَ كلّه ، فقامَت إليْه الفتاةُ وأَبدتْ إليه سُرورَها بعَودَتِه .

* * *

قال الأَمير : إنى رجَلٌ من أَهلِ المُدن اضْطَرّتنى الحال إلى أَنْ أَدخُلَ هذِه الغابة ، ولنْ أَخرجَ مِنْها حَتى أُخرِجَك مِنْها ، وسأَرُدُّكِ إلى أَهْلكِ سالِمةً آمِنَة ، وهَمّ أَنْ ينْصِرف ، ولكنَّ القِرْد أَمسكَ ثيابَه ، ونَظَر إليْه كأَنَّه يستَبْقِيه ولا يُحِبّ أَنْ يُغادر الكُوخ ويترْكَهما .

ابْتسَم الأَمِيرُ وقال مُشِيرًا إلى جَوادِه ــ وكانَ قد أَحْضَره مَعه وربَطَه فى شَجرةٍ قريبة من الكوخ ومن خَلْفِه :ــ

هَذا جَوادى سأُحضِره وأَعوُد بِه إليكُما ، فنَظَرَ القِرد حيثُ أَشار ، وتقدَّم أَمامه سائرًا نحو الجَواد ، ففَهم الأَمِير أَنه يُريد مُصاحَبته فى ذَهابِه وَعَوْدته.

رجَعَ الأَمير ومَعه القِرد ، وربَطَ جَوادَه فى شجرةٍ أَمامَ باب الكُوخ ، وأَعْطَى الفتاةَ الخُرجَ الذى فِيه المال والجواهِر لتضَعه فى الكُوخِ وتحافظَ عليه ، فأَخذَتْه وكانَتْ خَيرَ أَمِينٍ وحَافظ .

جلسَ الأَمير والفتاة والقِرْدُ قلِيلا قَبلَ أَنْ يذهَبُوا إِلَى النوم ، وكانَ القِردُ يبكى بكاءً تَنْهمرُ له دمُوعُه انْهمارَ المطَر ، فتَحيّرَ الأَمير فى أَمْرِ القِرد وبكائِه الذى لم يَعرِف له سَبَباً ، وتذكّرَ أَنّ القِرْدَ كانَ حَرِيصاً على أَن يَبْقَى مَعَه ولا يُفَارقه ، فسأَلَ الفَتاة قائلا :

أَرَى القِرْدَ يَبْكِى بُكاءً مُرًّا فماذَا تَعرِفِينَ مِنْ أَمْرِهِ ؟ وبِماذَا تعلِّلِينَ بكاءَه ؟

قالت : لا أَعرفُ من أَمْرِه إلا ما قلتُه لكَ ، ولا أَعْرفُ شيئاً عَنْ بكائِه ، غَيرَ أَنِّى ما رأَيتُه بَكَى إلا أَمَامكَ ، ويُخيَّلُ إلىّ أَنَّه وجَدَ فِيكَ حاجتَه ، فشَكَا إلَيْكَ ببُكائِه ، كما أَنّى لا أُنْكرُ عليْكَ أَنِّى أُحِسُّ مِنْ نَفْسِى عَطْفاً علَيْه ، ومَحبَّةً لَه فَوْقَ ما يَسْتَحِقُّه مِنِّى شُكرًا لَهُ علَى عِنايتِهِ بِى فِى وَحْدَتِى ، ولِهذَا فَقد عَزمْتُ أَلاّ أَتركَهُ فِى هذِه الغَابة ، وأَصْررْتُ علَى أَنْ يكونَ مَعى حيثُ رحلْتُ أَو أَقَمت وفَاءً له واعْتِرافاً بِجَمِيله .

قال الأَمير : وفوْقَ هَذا فإِنى لن أُفارقَه حتّى أَعْرِفَ سَببَ بكائِه ، ومِنْ أَىِّ شىءٍ يَشْكُو ، وسَأَكونُ له كَما يُحب .

سمع القِرْدُ هَذا القَول ، فكفّ عن البُكاءِ ، فَعرَفَ الأَمِيرُ والفَتاة أَنّه اِسْتَراحَ لِما تَحدّثا بهِ فى شَأْنِ بُكائه ، وأَخَذَ كلٌّ مضْجَعه حتى الصّباح .

* * *

وبَعدَ شروقِ الشَّمسِ وضَعَ الأَمِيرُ الخُرجَ على جَوادِهِ وأَمَر الفَتاة أَنْ تَمتطِيَه ، ومَشَى هُو والقردُ بِجوارها ؛ ليَخْرجُوا مِن الغَابةِ إِلَى بَيت الفتاةِ وأَهْلِها فى بَلْدتِها ، وكانَ القِردُ رائِدَهُم فاختار لهم أَقْصَر الطُّرق ، وكانوا بَعدَ نصْفِ سَاعةٍ خَارِجَ الغَابة ، وجَدُّوا يَسِيرونَ فِى الفلاَةِ حتَّى كانوا فى الطَّريق الذِى قُتِلَ فِيه والِدُ الفَتاةِ ، وكانَتْ تَعْرفُه ، فسارَتْ بالأَميرِ والقِرْد إِلَى بَيْتِ أَبِيها وأَهْلِها فى مَدِينَتِها .

كانَت المدينَة مَدِينة أَخِيه الملِك ، وعَرَفَ ذلِكَ

منْها حِينَ قَصَّتْ علَيْه قِصَّة خَطْفِها ، ولكنَّه أَخفَى عَنْها أَنَّها مدينَةُ أَبِيه وأَخِيه المِلِك .

دخَلُوا المدينَة ، فاستَقبَلَهم أَهْلُها مِن رِجَال ونساءٍ وولدان :

أَحْضَر الأَمِير فُلانة بنتَ فُلان وأَخاها ولكِنْ أَينَ أَبُوها ؟ . . . أما أَبُوها فَقَد عَرفَ مَصِيره من قِصّتها ، وأَمّا أَخُوهَا فلم يَعرِف كما لَمْ تَعرِف الفتاة عَنه شيئاً ، ولمّا سأَلَ عَنْه قيل له :

لقَدْ سحرتْه زوجَة أَبِيه قِرْدًا ونَفَتْه فِي مَكان بَعِيد ، ولَعلَّ هَذا القِردَ الذِى معَك أَخُوها .

عَرفَ الأَمير والفَتَاة السِّرّ فى عِنايَتِه بِها فى الغَابة ، وسَبَبَ بكائه للأَمِير ، وحِرْصِه علَى أَلاّ يُفارِقَه .

لَمْ يَذْهَب الأَميرُ بالفتَاةِ إلى بَيْتها ، ولكن مَضَى بها

والقِرْد مَعَه إلى قَصْرِ أَخِيه المِلك ، وهُناك قَصّ عليهِ قِصّتها ، وقِصّة القِرْد مَعَها ومَعه ثم قال :

وقد سمِعْتُ أَن زوجة وَالدِ الفَتَاةِ سَحرت أَخَاها قِرْدًا ونفتْه إلى مكَانٍ سَحيق ، ويَغْلبُ علَى ظَنِّى أَن أَخاها هو ذَلكَ القِرْد المسْحُور ، وعليكَ الآن أَن تحضِرَها وتُعاقِبَها بَعْدَ أَن تُخلصَ هذَا الفَتَى من سحْره .

أَمَر المِلكُ جُنودَه أَن يُحضِروا تلك الزوجة ، فَأُحْضِرت فى الحَال ، ولما رأَت بنْتَ زوجها والقِرْد عَرَفَتْ أَنه قد جىءَ بِها لينْتَقِم الملكُ مِنْها ، وأَيقنَتْ أَنَّ إنكارَها لا ينجيها مع وجُودِ الأَمير أَخِى المِلك ، وكانَتْ ماكرَةً داهِيَة ، فبكت وقالت :

لَقَد عملتُ أَكْبر خَطِيئة ، ونَدِمْتُ على ما فعَلْت ،

وأَرجُو أَن يُمهلَنى الملكُ حتّى أُخلّص هذا الفَتَى من سِحْره ، ويَعُود كما كان فَتًى فى نَضْرة شبَابه .

قال الملك : افْعلِى ما شِئتِ وخَلّصِيه من سِحرِه ، فطلبتْ كُوباً من الماءِ فلما جِىءَ به وضَعَتْه أَمامَها وجَعلت تقرأُ وتُتمتِم ، ثُم رشّت القردَ بهذا الماءِ فانقلَب فى الحالِ فَتًى جَميلاً كما كان ، ونَهضَتْ إِليْه أُختُه من غَيْر وَعْى فحضَنَتْه ، وأُغْمِى عَلَيها من شِدّةِ فرحِها ، وبَعدَ مُدة قَصِيرة أَفاقت واستيقظت ، وجَعلَتْ هِىَ وأَخُوها يُثنيان عَلَىَ الأَمير ويَشكُران جَزيل فَضْله .

أَما الملك فإِنّه أَمَر بالزَّوجةِ أَن تُلْقَى فى السّجن حَتّى تَموت .

رجَعَت البنْتُ وأَخُوها إِلى بَيْت أَبِيهما ، وأَقامَا

لَه مَأْتماً عَظِيماً ، وفَدَ إلَيه مِئات الناسِ ، الذين كانُوا يُعزّون ويُهَنّئون .

* * *

كان لملكِ المدينةِ المجاورة لمدينَة أَخِيه بنتٌ جَميلَة ، ذَاتُ عَقل كامِل ، وخلُق كَرِيم ، وقَد رغِب الأَمير أَن يتزوجها ، فكشفَ لأَخيه الأَكبر عن رغبَته ، وطَلبَ مِنْه أَن يَخطُبها من أَبيها له .

فَرحَ المِلكُ أَخوه لِتلك الرّغبة التى تربطُ الملكين برِباط وَثيق من المُصَاهَرة ، وتَزِيدهُما عَظمةً وهيْبَةً وقُوّةً أَمام غيرهما من المُلوك ، فذهَب الملكُ أَخوه إلى مَلِكِ المدِينَةِ المجاورَة لِمدينَتِه ، وهُنَاك استُقبِل استِقْبالاً يلِيقُ بِملِكٍ عَظِيم .

ولما خَلاَ المكانُ بالمِلكَيْن ، قال الأَخ الأَكْبر :

لقَد جئْتُك الآنَ فى أَمْرٍ فَرَّحَنِى ، ورجَوْتُ من رَبِّ أَن يَمنَّ علينَا بتحقِيقه ، قال الملِك :

يسُرُّنا أَن تكُونَ علَى الدَّوام فَرِحاً مَسْروراً ، فَما ذلك الأَمر الذى جئت من أَجله ؟

قال الأَخ الأَكبر : إن أَخِى وشَقيقى فُلاناً لَه رَغبةٌ مُلِحَّةٌ فى أَن يَتزوجَ الأَميرَةَ بنْتَك ، وقَد بعثَنى لأَخطبَها له .

قال الملك بَعد سكْتةٍ قَصيرةٍ : أَنْت تَعلمُ أَنَّها بنْتٌ واحِدة . وليسَ لى غيرُها ، وتَعلم أَنّ أَخَاك جَعلَ حياته كُلّها مُغامَراتٍ خَطِيرة ، وأَخشَى أَن يتَزوجَها ثُم يُلْقى نَفْسَه فى مُغامرة يكونُ فِيها هَلاكُه ومَوْتُه ، وتكون بنْتى إذ ذاك قدحَملتْ مِنْه ، فتُصْبِح أَرملةً ، ويُصْبح ابنُها يَتِيماً ، وتَقْضِى حَياتَها فِى بُؤْسٍ أَلِيمٍ ، ولَوْلا

ما قلتُه لكَ لكُنْتُ أَسْعدَ المُلوكِ بمُصاهَرةِ أَخِيك ، وأَنتَ مَلِكٌ عَاقِل ، لاَ تبْخسُ الأُمُورَ أَقْدَارها وقيمتَها ، ولاَ تُفَرّطُ فى صَغِيرِها وكبِيرها ، وأَنت أَيْضاً والِدٌ تَعْرفُ مِقْدار حُب الآباءِ لأَبنائِهم ، ومِقْدار الحرص الشَّدِيد علىَ راحَتِهم ، إن أَخاكَ لا عَيبَ فِيه إلا أَنَّه مُغامِر ، والمغَامِرُ لاَ عُمْرَ له ، وحَياتُه علَى كفّه ، ولَوْ أَنّكَ مَوضعِى لرأَيتَ رَأْيِى .

قال الأَخ الأَكبر : وأَنْتَ تَعلمُ أَن الآجَالَ مَقْدُورة ، وأَنَّه لا يَمنَعُ حَذَرٌ من قَدَر ، وأَن الجَبانَ الحذِرَ يُصاب وهُو فى آخر الصُّفوفِ ، ويَنْجو الشّجاعُ الجَرِىءُ الذِى يتقدّمُ الصّفُوف فى مَعارِك القِتال ، وأَنَّ الموتَ يَنزِلُ بالطّفْلِ الصَّغِير وهُو فى حِجْر أُمّه ، ويَترُكُ الشيْخَ الفَانِىَ حَتّى يأْتِيَهُ أَجلُه .

قال الملك : ولكِنّ الآباءَ يَدينُون بالحرْص والحذَرِ الشّدِيدَين فى كُلِّ شىءٍ لهُ صِلَة بأَبْنائِهم ، ولاَ يَبغُونَ عَن ذلِكَ حِولا ، وما عَليكَ إلا أَنْ تَبلِّغ أَخاكَ هَذا الحَدِيثَ مُفَصّلا ، فلَعلَّه يَزْهَدُ فى مُغامراتِه ، مِنْ أَجل مَن اخْتارَهَا لنَفْسِه ؛ لتكُونَ شريكتَه فى حَياتِه ، وأُمَّ أَوْلادِه ، وأَنا أَعْلَم أَنَّكَ أَوّلُ الفَرِحِين بتحقيق رغْبةِ أَخيك ، كما أَنى أَولُ الفَرِحين بِتلْكَ المصَاهَرة لولاَ ما سَمِعت وعَرفْت .

نقلَ الأَخُ الأَكْبرُ إلى أَخِيه هَذا الحديثَ مُفَصّلا فابتسم أَخوه الأَصْغَر ، وقال :

لقَدْ أَبَى أَنْ يُزَوِّجَنى بنْته خَوفاً من مُغامرات تُقرّبُ إلىّ – فى زَعْمه – أَجلِى ، ولكنِّى سأَجْعل مُغامَراتِى تُقرِّبُه مِنّى ، وتجْعَلُنى – فى رأْيه – أَوّلَ زَوْج يَخْتاره

لابْنتِه ، وسَتسمع غَدًا ما يكونُ ، وإنَّ غَدًا لناظِرِه قَريب .

* * *

كانَت مدينَة المَلِكِ والدِ الفَتَاة علَى مسافَةٍ غَير بَعيدَة مِنْ غَابةٍ كثِيفَة مُخِيفَة . ، وكانَ يَسكُنُها مارِدٌ من الإنْسِ ، مُغْرمٌ بأَكْل لحُومِ النَّاسِ ، وأَقْواها حُبًّا إلى نفسِه لحومُ الأَطْفال .

تسَلطَ هذا المارِدُ علَى تِلْك المدِينة فأَزعجَ أَهلها بخطْفِ أَطْفالِهم ، واسْتَغَاثُوا بِملكِهم أَنْ يَدْفَع عَنْهم هَذَا المارِدَ ، فبَذَل أَقْصَى ما يَستطِيعُه من قُوةٍ ، ولكِنَّه عَجزَ عَنْ قَتْلِه أَوْ طَردِهِ ودَفْعِه ، فأَعلَنَ أَنَّ من قَتلَ هَذا المارِد أَوْ حالَ بينَهُ وبَيْن المدينَة فلَهُ عِنْدَ المَلِكِ ما يَطلُبُه ..

بلغَ هذا النّبأُ الأَمِير فَفَرِحَ وقالَ فِى نَفْسِه :

جاءَت الفُرصَةُ الَّتى أُرى فِيها المَلِكَ أَنَّ أَقْدَار الرِّجالِ لاَ تَكُونُ بطُولِ أَعمارِهم ، ولاَ بِبَسْطَةِ أَجْسَامهم ولا بكَثرة أَمْوالِهم وأَوْلادِهم ، ولكِنَّها تكونُ بأَعْمالِهم ، وأَنَّ من الرجَالِ من يعيشُ مئاتٍ من السِّنين ، ثُمّ يَموتُ بَعدَ هذا العُمر الطّويل ويكُون نَسْياً مَنْسِيًّا ، ومِنْهم مَنْ يَمُوتُ فى سِنِّ الثَّلاثِين أَو الأَربَعين ، ولكنَّه بأَعْمالِه النّافِعة المجِيدَة يكُونُ قَدْ أَطالَ عُمرَه ، وخَلّدَ ذِكرَه ، بِما خَلفَه من آثار نافِعَةٍ مَجيدَة ، فَهُو المَيِّتُ الحَيّ ، وَارَى جِسْمَه التّراب ، وأَحْيَتْ ذكرَهُ الأَعمال ، سَأُرِيه أَن الحيَاةَ ليسَتْ عُمرًا طوِيلا يَقضِيه الإِنْسانُ فى الأَكل والشّرب والنّوم والاستِمتَاع بِما يَشْتَهِى ويُحب ، ولكِنّ الحياةَ أَعْمال نافِعَة تَعلُو بصَاحِبِها وتَرتَفِعُ كُلَّما

اتَّسع نَفْعُها وشَمِل أَكْثَر عَددٍ مِن الناس .

أَخَذَ الأَمِير عُدّتَه من سِلاَحِهِ وزادِه ، وَرَكِبَ جَوادَه ، ومَضَى به قُدُماً إلى الغَابةِ الّتى سَكَنها المارِد ، واتخذَ فِيها مَأْواه ومُقَامَه . دَخَل الغَابةَ فى الضُّحا ، وكانَ الجوُّ صَافِياً ، والشَّمسُ ساطِعة ، تَخْتَلسُ أَشِعتُها الهُبوط إلى أَرضِ الغابة ، والأَغْصان بتَموّجِها تحاولُ مَنْعها ودَفْعَها ، ولهذَا لم تكن الأَشعة علَى أَرضِ الغابةِ ثابتة ولا مُسْتَقرة ، فتَارة تَغْلبُ الأَغْصان ، فتَهبط ، وتارةً غلبُها الأَغْصانُ ، فترتَفع وتَخْتفِى .

أَخَذَ الأَميرُ يَجُول فى الغَابةِ علَى حَذر ، فرأَى على بُعدٍ كُوخاً من خَشَب الأَشْجار ، وأَمامَه فتَاة جَمِيلةٌ ، قَد وقَفَتْ شَاخِصَة ببَصرِها إلى السماءِ رافعة يَديْها ، باسِطَةً كَفَّيهَا ، فأَدركَ أَنّها تَستَغِيثُ بِرَبِّ السَّماءِ

أخذ الأمير عدته وسلاحه . . .

مِنْ هَمٍّ نَزلَ بِها ، وأَدْرِكَ أَنها لا تَسْتَغيث عَلانِية إلا أَذا كانَتْ وحْدَها وَليسَ مَعها أَحَد ، وظَنَّ أَنّها مِمّن خَطفهُنّ المارِدُ ، وهِيَ تدعُو اللهَ أَن يُنَجِّيهَا من شَرِّه ، فأَسْرعَ إِليْها ليتَبَيَّن مِنْها صِدْق ظَنِّه ، أَو يَقِفَ على حَقِيقة أَمْرِها ، أَو يَتَّخِذ مِنْها دَلِيلاً على المارِدِ ومأْوَاه .

وَردَ الأَميرُ الكُوخَ وحَيَّا الفتاةَ ، فرَدّت التَّحِيةَ بأَحْسنَ مِنْها ، وانْدهشَتْ إِذْ تَرى لأَول مَرَّة إِنْساناً يَدخُلُ الغابةَ ويَجُول فِيها غَيرَ خائِفٍ من المارِد ، وظَنتْ أَنَّه يَجهلُ أَمْرَه ؛ وأَدركَتْ مِنْ شكْلِه ودَلِّه أَنّه فَتىً نَبِيل ، فقالت :

مَن أَغْراكَ بدخُول هذه الغَابة ؟

قال : وهَلْ فِى دخُولِها مِن حَرج ؟

قالت : المارد . . . المارد . . .

قال : ومَا المارد ؟

قالت : خَلقٌ من خَلقِ الله : لا نَدْرِى أَمِنْ بَنِى الإِنْسان هو أَم من مَرَدةِ الجان : قامَةٌ طَويلةٌ مُمتَدة ، ورأْسٌ ضَخْم كأَنه رأْس الفِيل ، وأُذُنان مُحَدَّبتان كأُذُنَى الفرس ، وعيْنان صَغِيرتان برَّاقَتان كعَيْنَى الثّعْبان ، وأَسْنان طَوِيلة بارزَة ، تَنْفرجُ عَنْها شَفتان غَلِيظتان طَويلتان كَشَفَتَيِ الجمل ، وأَصَابع طَويلة كأَنها أَصابعُ المِذْراة ، يُحِبّ لحُومَ الأَطْفالِ حُبًّا جَمًّا ، تسَلَّطَ على المدُن المجاورة لهذهِ الغابة ، فيَخْطَفُ الأَطْفَالَ ، ويَجيءُ بها إِلَى هذا الكُوخ .

قال : ومَنْ أَنتِ ؟ وما صِلتُكِ بهذا المارد ؟ وكيْفَ جئتِه فى غابَتِهِ وعِشْتِ مَعَه ؟

قالت : خَطِفَنِى وأَنا لم أَتجاوز من عُمرِى الثانيةَ عَشْرةَ ، ولما جَاءَ بى إِلى هذا الكُوخ قال :

سأُبقيكِ لتَطْبُخى لِى وتَخدمِينِى ، فأَطعتُه وقايةً لنفْسِى من الموْتِ ، وحِين لا يكُون مَعِى أَتَّجِه إلىَ ربِّ السماءِ ، وأَدعُوه أَنْ يُخلصَنِى مِنْ يَدهِ ، وينَجّينِى مِن حَبْسِه وكُوخه ،

قال : ومِن أَية مَدِينة جاءَ بِك ؟

قالت : من مدِينةِ الملك فلان ـ وكان والد الفتاةِ التى خطَبَها ـ

قال : وهَلْ عِندَكِ اليَوم أَطْفال ؟

قالت : عِندِى طِفْلٌ جاءَ به مساءَ أَمس .

قال : وهَل سَيأْكلُه اليَوم ؟

قالت : لا ، فقَد اعتَدتُ أَنْ أَحْتالَ لإِبْقاءِ الطّفل عِندِى حَيًّا حتّى تنْفَدَ لِى كُلّ حِيلة ، وقَدْ أَبْقيتُ هذا الطّفلَ عندِى اليَوم ، وقلتُ له :

إن الطِّفلَ درجَةُ حَرارته مُرتفِعة، وربّما كان مريضاً بمرض يَنْتَقل إليك إذا أكلت لحمَه .

فقال : اتْركيه اليَوم ، وإنى ذاهبٌ لأُحْضِرَ لك غَدائِى من حَيوانِ الغَابة ، وأَنا الآن فى انْتظارِهِ ، وإنْ حضَرَ ورآكَ فما أَنْت بناجٍ منه .

قال : إنّ ما دَخَلتُ الغابةَ إلاّ من أَجلِ هَلاكِه ، وتَخلِيص المدُنِ من شَرِّه ، فإنْ رغبتِ فى ذَلك فعاونِينى على تَحْقيقِه .

قالت : ولَكَ شُكرِى ، فاطْلب مِنّى ما شِئْت .

قال : عليكِ أَن تختارِى لى مكاناً حَصِيناً أَخْتبِئُ فِيه ، بحَيثُ لا يَشعُر بِى أَبدًا ، فإذا ما حَضَر فأَطعِميه وأَسْبِعيه ، فإذَا ما غَطّ فى نَومِه فأَشيرى إلىّ أَنْ أَجِىءَ إليه ، وهذَا عَملُكِ والبَقيةُ علىَّ .

قالت : لكَ هَذا وأَدعو الله أَنْ يكتُبَ لكَ التّوفيق والسّلامَة .

* * *

وكانَ بالقرب من الكُوخ مكانٌ قد ازْدحَمَ بالشَّجر الذى له أَوراقٌ تَمتدّ مُسترسِلَة كشَعر البَنات ، فذهَبتْ مَع الأَمير وخبأَته بَيْن هذا الشجر هو وجَواده ، وحذَّرتْه أَن يَصْهل الجوادُ أَو تبدُو منه حَركة ، وقالت : أَدِم النّظَر إلى الكُوخِ ، فإذا ما أَشَرتُ إليكَ فأَسْرِعْ بالحضُور ، وعِندَكَ البَقِية .

قال : اطمئِنّى ولاَ تَهتمى .

حضَر المارد ومَعه حَيوان مِن حَيوانِ الغَابَة يُشبِه الْغزالَة ، فأَسْرعتِ الفتاةُ وجَهّزت الغَداءَ ، ثم أَكل حَتى شَبع ، واستلقَى على ظَهْرِه ، وغَطَّ . فِى نَومِه

وربط الأمير رأس المارد فى الجواد . . .

غَطِيطاً عالياً سَمِعه الأَمِيرُ قَبلَ أَنْ تُشير الفتاةُ إليه ، ولكنّه انتظَرَ إشَارتَها .

أَشارَتْ إليه الفتاة فأَسْرعَ وحَضَر ، ورفع سَيفَه وهَوَى علَيه بِضَرْبَة قَوِيَّةٍ فَصلتْ رأْسَه عَن جِسْمِه ، وانبثَق الدم كأَنّه ماءٌ يَنْدَفِع من نَافُورة ، ففرحت الفتاةُ ، وأَرسلَتْ فِى الجوِّ زَغْرودة أَصْغت إليْها أَشجارُ الغَابة

ربَط الأَمير رأْس المَارِدِ فى الجَواد كأَنّه عربةٌ يجُرُّهَا ، ثم ركبَ الجَواد ، وأَردَفَ الفَتاةَ والطّفلَ مِن خَلفِه ، وانْطَلق ماضِياً إلَى المَدينَة ، وحِينَ دخَلَها ذَاعَ خَبرُ حضُوره بالمارد مقْتولاً ومَعه الفتاة والطّفل المخْطوف حَدِيثاً ، فأُهْرِعَ النّاسُ إلَيه من كُل طَرِيق وشارِع ، ودَوَّى جَوّ المدينَةِ بالزَّغاريد ، وأَنْغامِ

الموسيقى ، ودقات الطبول ، ووصلَ الخَبرُ لِلْملك فاغْتَبطَ ونَهضَ هو وحاشِيَتُه وحَرسه فاسْتَقْبلُوا الأَميرَ بالحفاوَةِ والتَّكْريم ، وسار جَميعُهم إلى قَصرِ الملكِ ، وحضَر أَهل الطِّفْل فأَخذوه فَرِحين ، وجاءَ أَهل الفَتَاةِ فأَخَذُوها فَرِحين ، وقال له الملك :

لَك الآن عندى ما تَطْلب ، فمَن أَنْت ؟ ومَا طَلِبَتُك عِنْدى ؟

قال الأَمير : أَنا شَقِيق الملك الذى خَطبَ ابْنَتك لِى ، فإن رَأَيتَنى الآن خَير زوج لِابْنَتكِ فتِلْكَ حاجَتِى عِندَك ، وإنْ رأَيتَ غَير ذلك فمنى عليك السَّلامُ ، وأَمّا قَتْلُ المارد فَذلِك عَملٌ إِنْسانِىٌّ لا أَطْلبُ لَه جَزاء .

قال الملك : لقد استَطعْتَ أَنْ تُعرّفنَا وتُعرِّف النّاسَ بفَضْلِك وعُلُوِّ قَدرِك ، ولنا الشَّرفُ أَن تكون

ابْنَتِى لك زَوجَةً ، فـأَحْضِر أَخاكَ ومن تُحِبّ من أَهْلِكَ وذَوِيك ؛ لتُزَفّ إليكَ فِى حَفْل كَرِيم .

* * *

رجَع الأَميرُ إلى أَخيه الملِك ، فوجَدَ النبـأَ قد سَبقَه واغْتبَطَ به ، فلما حَضَر ابتَدرَه بالتَّهنِئَةِ ، وضمَّه إلى صَدْره فرحاً به .

وبَعد ثلاثة أَيام ذَهَب هُو وأَخُوه الملك وحاشيتُه وجَماعة من الأَهل والأَصْحاب إلى الملك والدِ الفَتَاة ، وهُناك زُفّت إليه فى حَفْل عَظِيم وفَرحٍ عميم .

فرغ الوالد من حكاية « الأمير المغامر » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلية التالية حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » .

طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير . . .

وكانت الليلة التالية ، فجلس الأولاد ملتفين حول أبيهم مسرورين ، واستمعوا إلى ما يقصه عليهم أبوهم من حكايات الليالى .

وكانت حكاية الليلة . . حكاية « الأمير سحاب » :

## الأَمِير سَحاب

جلسَت الجدةُ العَجوز بعدَ صلاةِ العِشاءِ ، وأَمامَها أَحْفادُها تقصُّ عليْهم ما تَعرفُه من قِصَص الأَولين ، فَقَالت :

كان فى مدينةٍ من المُدُنِ الكبيرَةِ القديمة ملكٌ يحكُمها بالعَدلِ والرحْمةِ ، ويَسوسُها باللِّينِ والرأْفَة ، ويَقْسُو على مَن يستَحِقُّ القَسوَة ، وكان له ابنٌ رَبّاه

عَلَى الشجاعَةِ والبُطولة ، وصَيد الغزلان والوُحُوش من الغاباتِ والفَلوات ، حتّى بَرَعَ فِيها ومَهَر ، وفَاقَ أَقرَانَه من ذَوِى القُدَر ، وصارَ والدُه لا يخْشى عليهِ إذا ما خرجَ وحْده يبتَغى الصّيدَ فى أَخطرِ الغاباتِ والفلوات .

وذاتَ يومٍ صَفَتْ سماؤُه ، وسطعتْ شمسُه ، واطمأَنت رياحُهُ ، خرج إلى فَلاةٍ فَسِيحة ينشدُ الغِزْلان ، فسارَ حتّى أَبعدَ ، واختفَتْ عنْ أَنظارِهِ مدينةُ أَبيه .

وفى أَثنَاءِ سَيْرِهِ وجدَ بئْرًا عَميقة ، فأَطَلّ فِيها فأَلقاها جافّةً ليسَ فِى قاعِها قَطرَةٌ من الماءِ ، ورأَى قاعَها كأَنَّه صَخرةٌ مَلْساءُ ، يكشِفُها للناظِرِ ضَوءٌ كأَنّه ضَوءُ المصْباح ، يأْتيهِ من فَتحةٍ فى أَسفلِ

البئرِ كأنَّها باب فى جانِبه ، فشغَفتْه مَعرفَةُ هذه البئرِ وما وراءَ هذا البابِ المفْتوح فى جانبها عِندَ قَاعِها ، ووقَف يفكرُ فى حيلةٍ تُمكنُه من النّزولِ فِيها ، ليُسكِتَ شغَفَه ورغْبَته .

وبَيْنَما هُو يُفكر ويُدَبر لمح قِطعةً من غُصنِ شَجرةٍ مُلقاةً على الأَرض ، فاهْتَدَى إلى حِيلةٍ أَعجبتْه ، ومَلأَت نفْسَه اطمِئنانًا ، وفى الحال جرَى نحوَ القِطعةِ من الغُصنِ فحمَلَها إلى البئرِ ووضَعَها فَوقَ حافتِها ، كأنَّها وتَرٌ لمُحيطِه ، بعدَ أَن ربطَ فى وَسطِها حَبلاً طَويلاً كان مَعه ، ثم أَدْلَى بقيةَ الحبلِ فى البئرِ حتّى كانَ طرفُه الآخرُ فوقَ قاعِها ، ثم تَعلّق بالحبلِ وتزحلَقَ عليْه قليلاً قليلاً حتّى كان علَى قاعِ البئْر .

* * *

وجدَ الفتَى عِندَ قاعِ البئرِ سِرْداباً فدخلَه ، ومَشَى فيه حتى انْتَهى إلَى مكانٍ فَسِيحٍ ، قام فى وَسَطِه قَصرٌ بَديع غُطيتْ جُدرانُه بالمرمر ، وكانَت تُطل من نافذتِه فتاةٌ جَميلة ، فلما رأَتْه قادمًا وسَيفُه فى يده ، وعلَى وجْهه أَماراتُ البُطولةِ بادِيَة ، ابتَدرتْه قَائلة :

أَهلاً وسَهلاً ، مَرحباً بالبَطل الزّائر ، ادخُل القَصرَ وجِئْنِى فى غُرفَتى ولا خَوفَ عَليْك .

دخلَ الفَتى القَصر وصَعد إلى الفتاة فى غُرفتِها ، فاستقبلتْه هاشَّةً بَاشَّة ، يفيضُ وجْهُها فَرْحَةً وغِبْطَة . وأَجلسَتْه علَى أَريكةٍ وَثيرةٍ فاخرَة ، وجَلَسَتْ أَمامَه علَى أَرِيكةٍ أُخرى مِثلِها ، ثم سَأَلَتْه قائِلة :

مَن أَنت ؟ وكيف جئْتَ هذا القَصر ؟ وهَل كنتَ تَعرِفه أَو جئتَه من قَبل ؟

قال الفتى : أنا الأَميرُ سحابٌ ، ابنُ ملكِ المدينةِ التى تُطل على تلكَ الفَلاة الفَسيحة ، خرجتُ منها للصّيدِ فى هذِه الفَلاةِ ، فعثرتُ فى طريقِى على هذِه البئْر ، وكانَتْ دهشَتِى حين أَطْللتُ فِيها ولم أَجِد قَطرةً من ماءٍ ، وزادَتْ دهشَتِى حِين رأَيتُ عِندَ قاعِها فَتحة بها ضَوءٌ كأَنها باب ، فَدفَعَنِى حُبُّ المَعرِفةِ إلى النُّزولِ فِيها ، لأَتَبَيَّنَ أَمرَها ، ووقَفتُ حائِرًا أُفكر فى حِيلةٍ تمكنُنِى من النزولِ فِيها ، وما كنتُ لأَهتدِىَ إلى حِيلَةٍ لولا أَنّى رأَيتُ على مقربة من البئر قِطعةً من غُصنِ شجرة كَبيرة ، فجريتُ نحوها وحَملتها إلى البئر ، ووضَعتُها علَى جانِبَيْها كأَنّها وتَرٌ لها ، بعد أَن أَدليتُ فى البئرِ منْها حَبلاً طَويلا ربطته فى وَسَطها ، ثم تَعلقتُ بالحبْل وانزلقْتُ فوقه قَليلاً قَليلاً حَتّى كنتُ على

قاعِها ، ثم دخَلتُ السِّردابَ ومَشيتُ فِيه حَتّى وجَدتُنِى أَمَام هذا القَصر ، وما كنتُ أَعْرِفُه ولا جِئتُه من قَبل .

قالت : أَما كنتَ تتوقّع خَطرًا يلقاكَ فى هَذا المأْزِق ؟

قال سحاب : إنّما يتوقّع الخَطر من يَخَاف ، والآنَ أُحبّ أَن أَعرفَ . . :

من أَنت ؟ ولمنْ هذا القَصر الجَميل ؟ وكيفَ جئتِه ؟ ولماذا رَضيتِ لنفْسِك الاعتزالَ فِيه ؟

قالت : أَنا الأَميرةُ بديعةُ الجَمَال ، بنتُ ملكِ مَدينةِ الجبال ، خَطِفَتنِى جنّيةٌ من قَصر أَبى ، وجاءَت بِى إلى قَصرِها هذَا لأَعيشَ مَعَها فِيه ، لأَنّنِى أُشْبه بنْتًا لها ماتَتْ . وكانتْ تحبُّها حبًّا عَظِيماً ،

وبكتْ عليها بُكاءً مُرًّا ، وفى وُجُودى معَها مَسلاةٌ وعَزاءٌ لها .

قال سحاب : وأينَ الجنيةُ الآن ؟

قالت : ذهبتْ لتُحضرَ لِى ما لذّ وطابَ من ألوانِ الطّعام والشّراب.

قال : ألا تُحِبين أن ترجِعِى إلى أبويْكِ وأهلِك؟

قالت : أُحبّ أن أرجع إلى أبَوَىَّ وَأَهْلى ، وليتَنِى أستطيعُ ذلك ؛ ولَيتَنِى أجدُ السّبِيلَ والوسِيلة .

قال سحاب : أنَا أستَطِيعُه ، فإن كانَتْ رغبتُكِ صادقةً فهيَّا بنا نخرج قبلَ أن ترجِعَ الجنيةُ من غيبَتِها .

* * *

نَهضت الأَميرةُ بديعةُ الجمال ولبسَتْ ثيابَ

الخُروج ، وقادَها الأَمير سحابٌ إلى قاعِ البئْرِ ، ثم أَرْكبَها على ظَهرِه ، وأَمسكَ الحبلَ بيدَيه وجَعلَ يصْعدُ فِيه بِقُوةٍ حتى خرجَ بها من البئْر ، ثم فكّ رباط الحبلِ عن الخشبةِ وأَخذَه ، وأَلْقَى بالخَشبةِ فى العَراءِ ، ومَحَا بذلكَ معالِمَ الوَسيلةِ الَّتِى نزلَ البئْر بِها وخَرجَ مِنْها ، ثم قال :

هيَّا بنا نبعُد عن هذِه البئر قَبلَ أَن تعودَ الجنية ، فَتبطِلَ تدبيرِى وسَعْيى فى الهرَب مِنْها بِكِ .

قالت : وإلى أَين تَذهبُ بى ؟

قال : إلى قَصرِ أَبى ، وهُناك أَعرفُ مدينة أَبيك أَين تكون ، وأُدبِّرُ الوسيلةَ لِلرَّحيلِ بِكِ إليها .

* * *

أَسرعَ الأَميرُ والأَميرة فى السَّيرِ هرَباً ، وكانت

الأَميرةُ قد ضَعفَ أَملُها فى العَودةِ إلى أَبَوَيها وأَهلِها فقالت :

أَنت هرَبتَ بِى من قَصرِ الجنّيةِ ، وأَظنّها حين ترجعُ ولاَ تجِدُنى فِيه ستَغضَبُ وتَثورُ ، وتَنشَطُ فى البَحثِ عَنّى ، ولنْ تسكُتَ حتّى تخطَفَنِى ، وقد تصِيبُ بـأَذاها مَنْ خَطفَنِى ، وقد صِرتُ الآن فى يَدِ أَمير كـأَنّنِى مَسْبِيَّة ، لا رأْىَ لِى ولا إرادَة ، ولا أَدرِى مصيرى عنْدَه .

قال الأَمير : أَما الجِنّيةُ فلا خَوفَ علىَّ ولا عليكِ منها ، وأَما أَنكِ فى يَدِى كفتاةٍ مَسبِيّة ، فذلك ما لا وُجودَ له فى نفسى ، وأُحبُّ أَلا يخطُرَ الأَسرُ على بالِك ، فـأَنت حرةٌ طليقَة ، وأُختٌ لى عزيزة ، أَحْميك بدَمِى ، وأَصونك بسَيفِى ، وأَكفُلُكِ بمروءَتِى وعزةِ

نَفْسِى ، وأَمْرُكِ الآن إليكِ ، فانظرى ماذا تـأْمُرِين .

قالت : أشكر لكَ مروءَتك ورجولتَك ، وأُحبُّ أن أرجعَ إلى أَبَوَىَّ وأَهلِى فى مدينةِ الجبال .

قال : نحن جادّون فى العودَةِ إلَى قَصر أَبِى ، وهناك أَعرف السبيلَ إلى مدينةِ أَبيك ، وأُدبّر الوسيلةَ للرحيلِ إليها بكِ ، فهل يساورُكِ خوفٌ منا على نفسِكِ ؟

قالت : ما دمت علَى هذا القدرِ من المرُوءَةِ والرجولة وعزّةِ النفْسِ فلن يساورنى خوفٌ منكُمْ علَى نفسِى ، فامضِ بى إلى حيثُ تُريد ، ولعلَّ محنَتِى هذه خَيرُ سبيلٍ إلى ما أَتمنَّاه الآن لنَفْسِى .

التقت هذِه الأُمنيةُ بأُمنيّة فى نفْسِه فقال :

أرجُو أن يكون هذا . واللهُ الموفقُ والمُعِين .

قالت : وفَّقَكَ الله وأَعَانك.

وكانت الأُمنية الزواج .

* * *

أما الجنّيةُ فإنها حين رَجعت ولم تجِدْها فى القَصرِ غَضبتْ وثارت وارتَفعتْ فى الجوِّ إلى السَّماء باحثة عنها فأَصابها شهابٌ أَحْرَقها وماتَت .

وبعد قليل كانَ الأَمير سَحابٌ أَمام أَبيه الملِكِ فى قصرِه ومَعَه الأَميرة ، وأَطلعَه على ما وقع له فى يومهِ ، وعرّفه بالأَميرة بديعة الجمال ، وأنها تَودّ أن ترجعَ إلى أَبويها فى مدينة الجِبال ، فهنأَها الملكُ بنجاتِها من الجِنِّية ورحّب بها ، وأَمَر أَن تقيم مع زوجتِه فى بيت الحَريمِ ، وأَن يُسأَل الخُبراءُ وذوو المعرفةِ والعلم بالبلدان

عن مدينة أَبيها فورًا ، وأَن يرحَل بها ابنُه إليها عقبَ مَعرفتِها .

ولما استيأَسَ الملكُ ، وقَعدَ به العَجزُ عن مَعرفةِ المدينة جاءَته عَجوزٌ تتهدَّجُ فى مشيتِها ، وتتحاملُ على عَصًا غليظةٍ فى يَدِها ، وكانت ذات قدرَةٍ فائِقَة فى السحر واستِخدامِ الجانّ وقالت :

بلغنِى أَنّ مولاى الملكَ يسأَلُ عنْ مَدينةِ الجبال .

قال : نعم ، ولم أَجِدْ فى مَدينتِى من يَعرفُها ، وأَخْشى أَن أَعجزَ عن مَعرفتِها أَمام بدِيعةِ الجمال ابنة مَلِكها التى لجأَت إلىّ ، واستنجدَتْ بى فى إرجاعِها إلى أَبويْها مَعَ ابنى الأَمير سحاب .

قالت العَجوز : إننى أَعرف المدينَة ، وهِى قريبةٌ منّا وبَعيدةٌ عَنّا .

عَجِب الملكُ وقال : وكيف تكونُ قريبةً وبعيدةً فى وقت وَاحد ؟

قالت : بينَنا وبينَها تلكَ الفَلاة الشّرقية التى تَنتَهى إلى هذه الجبال العَالية التى تشقُّ السَّحاب . فهى لذلكَ قَريبة مِنّا ، وهى خَلف تلكَ الجبالِ العالية التى لا يقدِرُ أَحد أَن يتخطَّاها إلى النّاحية الأُخرى حيث مدينة الجبال ، وهى لذلك بعيدةٌ عَنّا ، وفى استِطاعتِى أَن أُوصّل الأَميرَ والأَميرةَ لهذه المدِينة ، وأَن أُعيدَهما إلَى قصرك فى أَقربِ وقت مَتى شِئْت .

قال الملك : ولكِ عِندِى لِقاءَ هذا مكافأَة سَنيّة .

قالت : مكافأَتِى أَن أُرضِىَ الملكَ ، وأَن يرضَى عَنى ، وإذا كان الأَمير والأَميرة على استعدادٍ للرحيل الآن فليَأْتِيانِى ، وسأُكلفُ من يَحمِلهما من مَردةِ الجانِّ إلى المَدينة .

ولما حضَر الأَمير والأَميرة فى الحال تَلَتْ عزيمةً من عزَائمها السّحرية فحضَر إليها مارِدٌ وقال :

لبيك أَيتُها العجوزُ الساحرة . فأَمَرتْه أَن يَحمِلهُما إلى مدينة الجِبالِ ، وأَعطَت الأَمير ثلاث شَعراتٍ وقالت :

إذا أَردت العَودة إلى قصر أَبيك فأَحرق شَعرةً من هذه الشعرات ، وسيجيئُك هذا المارِدُ فى الحال ، وسيعودُ

بِكَ إلينا .

* * *

حملَهما المارد على ظهرِه وطارَ بهما حتى حطّ فوق سَطح قصرِ مَلِكِ مدينة الجبال ، ثم تركهما واختَفى .

قالت الأَميرة : انتظرنى هُنا حتى أَعودَ إليْك ، ثم نَزلت فى سُلّم القَصرِ حتى كانَت أَمام أَبويها فى ردْهتِه ، وكانت فرحة عظيمة ودهشة أَعظم ، وقاما إليها واحتضَناها وقبلاها ثم سأَلاها :

كيفَ اختفيْتِ ؟ وكيفَ عشتِ مدةَ اختفائِك ؟ وكيفَ رَجعتِ إلينا ؟ فقصّتْ عليهما القصةَ برُمتِها ، ثم قالت :

وهذا الأَميرُ فوق سطْح القصر ينتظرُنِى كما

أَمَرته حتّى أَعُودَ إليْه لآتِيَ به إليكُما .

قال أَبُوها : أَسْرِعِى إليه وأَحْضِريه ، فلما عادت بِه استقبلاهُ استقبالا يفيضُ محبَّة وغِبطةً وحَفاوة ، ثم عرفَهم بنفْسِه ، وعززت الأَميرةُ قَوله ، ولبثَ فيهم ضيفًا عزيزًا ، وغمروه بكرمِهم ومحبّتِهم ، وفى اليوم الثالثِ طلبَ الأَميرُ من الملكِ يد ابنتِه بديعة الجمال.

ابتسمَ الملك وقال : تِلكَ رغبةٌ فى نفْسِى ، وقبلَ أَن أُبديها أُحبُّ أَن أُشاوِرَ ابنتِى وأُمّها.

قال الأَمير : تِلك مشورةٌ واجبة ، فى مثل هذا الأَمر والله الموفق .

* * *

عرضَ الملِكُ الأَمر على زوجتِه فقالت : إن هذا الأَميرَ من أَعلى البيوتِ وأَشرفها ، وابن ملك مثلك ،

وعلَى خلقٍ كَريم ومُروءَةٍ ورُجولة قلَّ أَن نجدَها موفورةً فِى شابٍّ مِثله ، فقدْ كانت ابنتُنا كأَسِيرة فى يَدِه ، وفى خَلوةٍ لا يخشَى فِيها من أَحد ، ولكنّه حافظَ عليها ، وصانَها كما تصونُ الصدفةُ الجوْهرَة ، فَلنْ تَجدَ زَوجاً خيراً منه .

قال : وما رأْىُ بَديعةِ الجمال ؟

قالت : كنَّا نَتحدث ليلةً فى سيرةِ هذَا الأَمير فوجدتُنى أَسأَلها قائلةً :

ربما خطَبكِ هذا الأَميرُ من أَبيكِ فما رأْيك ؟

قالت : إنما يُختارُ الرجلُ لخلقِه ومروءَتِه ورجولتِه ، وما وجَدتُ من هذا الأَمير فى صُحبتنا وعزلتنا شبهةً ولا رِيبَة .

قال الملك : على بركةِ الله .

وفى الصباحِ جلسَ الملكُ على عرشه ، وطلبَ إليه الأَمير ، فلما جاءَه أَجلسَه إلى جانبه وقال : هنيئًا لك الزواج من ابنتى يا سَحاب .

* * *

وبعد أَيام زُفَّت إليه فى قَصرِ أَبيها ، ولبثَ فيهم مَعها شهرًا ، ثم استأْذنه فِى العودَةِ إلى مدينةِ أَبيه ومَعه زوجته فأَذنَ له ، وفى ساحة القَصرِ أَحْرق شعرة من الشعرات الثلاث فجاءَهُ المارد وحملهما إلى قصر أَبيه . وهناكَ أُقيمت الأَفراحُ والولائِم لقُدومهما .

ثم عاشا سَعيديْن لا يقلقُهما إلا الجنية ، وخوفُهما منَ أَن تختطفَ الأَميرة على غَفلةٍ ، وبعدَ أُسبوع جاءَتهما العجوزُ الساحرة وقالت :

جئت مُهنئةً بالعودة والزواج ، ومُبشرةً بأَن الجنية التى

كانت قد اختطفت الأَميرة قد عادت إلى قصرها ، ولمّا لم تجد الأَميرةَ فيه غضبت وطارت وارتفعت فى الجوِّ باحثة عَنْها فأَحرقَها شهاب من السماءِ وماتت ، ففرح جميعُهم بهذه البشْرى وأَغدقوا عليْها الهبات والعطايا السنية .

فرغ الوالد من حكاية : « الأمير سحاب » فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية ، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » .

طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير . . .

| | |
|---|---|
| رقم الإيداع | ١٩٩٤ / ٨٣٣٥ |
| الترقيم الدولى | ISBN 977-02-4696-4 |

٧ / ٩٤ / ١٩٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)